الطفولة في فكر ابن سينا

اعداد
م.د.فرات أمين مجيد
كلية التربية الأساسية/جامعة ديالى
تاريخ استلام البحث:٢٠١٣/١١/٢٧

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مسألة العناية بالطفل عند ابن سينا فقد خصص ابن سينا في الكتاب الأول من كتاب (القانون في الطب) فصلاً خاصاً للحديث عن تربية الأطفال وأمراضهم ، وقد سماه التعليم الأول في التربية ، وقسمه إلى أربع مقالات .

تناول في المقالة الأولى الحديث عن تدبير المولود منذ أن يولد إلى أن ينهض . وبحث في المقالة الثانية الإرضاع . وألح فيها على أن يرضع الطفل لبن أمه ما أمكن ، فانه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم .

ثم تحدث عن موضوع الفطام ، وأكد أن يكون تدريجياً . وتتحدث المقالة الثالثة عن بعض أمراض الطفولة وضرورة الوقاية منها . وتتناول المقالة الرابعة تدبير الطفل وتربيته حتى سن البلوغ ، ويستعرض ابن سينا فيها فصول التربية النفسية للأطفال وفق أحسن الطرق التربوية المعروفة حالياً .

Abstract

The aim of this study to the statement of the issue of child care at the Ibn Sina has been allocated in the first book of the book (The Canon of Medicine) a special chapter to talk about raising children, illnesses, education has been called the first in education, and divided it into four articles.

Eating in the first article talking about the measure since the baby to be born to rise. And discussed in the article second lactation. And insisted that the child suckle its mother's milk as much as possible, it is like the essence of what food ancestor of nutrition while in the womb.

Then he spoke on the subject of weaning, and confirmed to be gradual. The third article talks about some childhood diseases and the need for prevention. The fourth article discusses the management and nurturing of children up to the age of puberty, Ibn Sina and review the psychological education classes for children according to the best educational methods currently known.

المقدمة

تعد فترة الطفولة من أدق مراحل حياة الإنسان وأهمها ، وتشكل البيئة التي يترعرع فيها الطفل بكل مكوناتها وأبعادها ، عاملاً أساسيًا في تشكيل شخصيته عبر المراحل اللاحقة من حياته . ولما كان الإنسان هو اللبنة الأساسية الأولى في بناء الأمة ، اقتضى الأمر الاهتمام به ورعايته منذ ولادته وحتى مماته ، لاسيما وأن التربية هي عملية مستمرة تلازم الإنسان طوال حياته .

وقد ركزت التربية وفي مختلف الحضارات على مرحلة الطفولة ، لأهميتها في بناء شخصية الفرد، وفي عصرنا الحالي ، تتعاظم أمام الطفل المسلم وفي مختلف بقاع الأرض تحديات كثيرة ، شملت الهوية والثقافة والدين والحرية ، بالإضافة إلى تحديات المعرفة والتطور التكنولوجي والتعليم ، ورغم أن التربية المعاصرة قد حددت المتطلبات والمعايير والأفكار والافتراضات التربوية لكافة جوانب نمو الطفل ، إلا إنها

لا زالت تعاني من أوجه قصور عديدة ، خاصة فيما يتعلق بتحقيق حالة من التوازن داخل شخصية الطفل ، بالإضافة إلى افتقارها إلى الجانب الروحي ، الذي يشكل صمام الأمان لتربية الطفل في كافة مراحل نموه .

ابن سينا : (٣٧٠ هـ - ٤٢٨ هـ)

حيـاتــه :

أبو علي الحسين بن عبد الله ابن علي بن سينا ، ولد بقرية بالقرب من بخارى عاصمة الدولة السامانية ، وكان أبوه فارسياً من الشيعة الإسماعيلية ، ونشأ أبنه عليها ، ولكن ابن سينا أتجه وجهة فلسفية وعلم نفسه بنفسه ، وأجاد علوم الطب والطبيعة والمنطق والهندسة والفلك ونجح في علاج الملك نوح بن منصور ولم يبلغ الثامنة عشرة . وقرا في الفلسفة لأفلاطون وأرسطو والفارابي و واشتغل بالسياسة ، وكان محباً للدنيا والخمر والنساء والترف ، وتولى الوزارة ولم يبلغ الخامسة والثلاثين ، وأصيب بالقولنج (قرحة المعدة) في الخمسين ، فتاب عن الشهوات واعتق أماءه وتصدق بماله وانصرف إلى التأمل الفلسفي ومات في السابعة والخمسين .

مـؤلفـاتــه :

تزيد مؤلفات ابن سينا عن المائة ، وتتراوح بين الكتب الموسوعية والرسائل القصيرة ، بعضها بالفارسية ولكن أغلبها بالعربية ، وأشهرها أربعة هـي " الشفاء " و " النجاة " و " القانون في الطب " .

ورغم أنها محاولات للتوفيق بين الفلسفة والدين من ناحية ، وبين أفلاطون وأرسطو على طريقة الفارابي من ناحية أخرى ، فأنها تتميز بالأصالة وكان لها تأثيرها القوي ، وخاصة كتابه " الشفاء " على الفكر الديني الإسلامي واليهودي والمسيحي .

فـلسفتــه :

غاية الفلسفة عند ابن سينا هي معرفة الله ، وهو يستعير من الفارابي برهان واجب الوجود لإثبات وجود الله ، ويفضله على برهان المحرك الأول لأرسطو ، ويرفض فكرة أرسطو أن الله لكماله لا يعلم إلا ذاته ، ويقول إن علم الله لذاته يستتبعه علمه بغيره طالما انه علة كل شيء ، ولكن ينكر معه علم الله بالجزئيات لان العلم بها يستتبعه تغير يوازيه في ذات العالم ، ويذهب إلى أن الله يعلم الكليات الثابتة الخالدة ، ويعلم الإنسان الجزيئات المتغيرة الحادثة .

وعلم الله بالجزيئات كلي باعتبارها معلولات ونتائج لعلل ثابتة ، وعلمه سابق على الجزيئات لأنه علم قديم . ويقول ابن سينا بنظرية الفيض في نشأة العالم كالفارابي ، ولكنه يذهب إلى أن الله الواحد إذ يتعقل ذاته يصدر عنه العقل الأول ، ويرد الكثرة في العالم إلى هذا العقل ، وينسب إليه ثلاثة تعقلات ، أن يعقل ذاته باعتباره واجب الوجود بغيره فتصدر عنه النفس الكلية ، وان يعقل ذاته باعتباره ممكن الوجود لذاته فيصدر عنه جسم الفلك الأول ، وهكذا بالتتابع بالنسبة لتسلسل العقول ، يصدر عن كل منها عقل ونفس وجسم حتى نصل إلى أخر الأجسام العلوية وهو جسم فلك القمر ، والعقل الأخير أو العقل الفعال الذي يتوسط بين العالم العلوي والعالم السفلي ، ولكنه لم يقل كالفارابي أن عدد العقول السماوية عشرة بل ترك عددها لتقدم العلم والكشوف الفلكية ، وتقوم أصالته في هذا الباب على نظريته الثلاثية لتعقلات العقل . غير أن أهم إسهام إبن سينا هو نظريته في النفس ، وهو يقول إن المعرفة والنفس الإنسانيتين يصدران عن العقل الفعال ، فالجسم يتلقى منه النفس ، والنفس تتلقى منه المعرفة ، ويصف النفس بأنها عاقلة وفردية ، وبسيطة لا تنجزى ، وجسم لطيف لم يوجد قبل وجود الجسم . وأنكر تناسخ الأرواح ، وقال أن النفس تخلق مع خلق الجسم ، وأنها صورة الجسم ، والجسم وسيلتها تستخدمه لبلوغ كمالها بتحصيل العلم النظري ، ويقتضي ذلك سيطرتها سيطرة كاملة على شهوات البدن وأهوائه ، وحتى النفوس التي تعجز بفطرتها عن التحكم في البدن تستطيع مع ذلك أن تعيش طاهرة بان تلتزم الشريعة .

وتنفصل النفس عن الجسم بموته و تحلله لتعيش في الخلود، أما في النعيم لطهارتها ، وأما في الجحيم لشرورها ، والجحيم هو سعيها للعثور على البدن الذي كان لها ، سعياً لا جدوى منه ، كي تحقق به كمالها الذي استحال عليها في الدنيا . وينفي ابن سينا أن تكون النفس أزلية قبل البدن كما قال أفلاطون ، وخالف أرسطو بان جعل لها خلوداً بعد البدن . وهو ينكر أن الجسم يبعث ، لكنه يقول بخلود النفس لأنها غير مادية فلا تفسد ، ويصفها بأنها فردية ، ويسوق برهاناً اشتهر عنه يدلل به على فرديتها وخصوصيتها ، فعندما يتحدث المتكلم مشيراً إلى نفسه بقولـه " انـا " لا يقصد بالـ(انـا) جسمه ، ولو فرضنا إنساناً خرج إلى الوجود في تمام نضجه وعقله ، معلقاً في الفضاء ، مغمض العينين ، متباعد الأطراف ، بحيث لا يرى ولا يلمس أعضاءه ، فانه مع ذلك سيظل على يقين من شيء واحد ، انه موجود كذات فردية . وقال عن الثواب والعقاب أنها مسائل معنوية وليست مادية ، وان صور العذاب في القران المقصود بها هداية العامة ، لان البعث بالجسم لا يتفق مع الآخرة ، فلا عودة للدين بعد القيامة . وقال عن الفرائض والعبادات أنها لم تفرض لذاتها بل للتهذيب ، وطالما أن الفلاسفة والأولياء يحبون الخير لذاته فلا بأس أن يتخففوا منها ، ولكن الشريعة كالفلسفة مضمونها الحقيقة ، وإنما الشريعة تستخدم اللغة الرمزية كي يفهمها العامة ، ويتلقاها النبي مباشرة من العقل الفعال ، أي الوحي ، بواسطة المخلية . ويقول أن النبي يختلف عن الفيلسوف ، في طريقة تلقيه للمعرفة وفي كميتها ، وانه يتلقى معرفته من العقل الفعال " مرة واحدة " ، ثم تتنزل على البشر بلغتهم ليفهموها ، وبدون الشريعة يعجز الإنسان كحيوان سياسي عن الاستمرار في الحياة ، وبدون النبي تعجز المجتمعات المتحضرة عن الاستمرار . والدولة الإسلامية التي تطبق الشريعة دولة مثلى ، لكن الأولى أساسها الشريعة ومصدرها الله وواسطتها النبي ، والثانية أساسها القانون ومصدرها الله وواسطتها الفيلسوف ، ومن ثم تفضل الدولة الإسلامية جمهورية أفلاطون ، كما يفضل النبي الفيلسوف ، والشريعة القانون .

ولقد كان ابن سينا شغوفاً كل الشغف بتحصيل العلم ، لا يعوقه عن ذلك نصب ولا ملل . ولعل ذلك يبدو واضحاً مما رواه ابن سينا نفسه عما لاقاه من مشقة في فهم كتاب ((ما بعد الطبيعة)) لأرسطو حتى قرأه أربعين مرة فلم يستطع فهم أغراضه . ثم وقع في يده صدفة كتاب أبي نصر الفارابي في ((أغراض ما بعد الطبيعة)) فقرأه وفهم أغراض هذا الكتاب ، ففرح بذلك فرحاً عظيماً ، وتصدق كثيراً على الفقراء وشكر الله تعالى . وحدث أن مرض سلطان بخارى الأمير نوح بن منصور وحار الأطباء في علاجه ، فاستدعي ابن سينا لمعالجته فعالجه حتى برئ . وفي أثناء ذلك تردد على مكتبة الأمير ، وطالع فيها الكتب الأوائل ، وكثيراً من الكتب الفريدة التي لم يقف عليها من قبل ولا سمع بها ، واستفاد من ذلك فائدة عظيمة . ولما بلغ ثماني عشرة سنة كان قد فرغ من مطالعة ما شاء الاطلاع عليه مما احتوت هذه المكتبة من الكتب الفريدة في مختلف العلوم . ثم أخذ في تأليف الكتب في سن الحادية والعشرين من عمره . ولما توفي والده ، وكان ابن سينا في سن الثانية والعشرين ، أخذ يتنقل في البلدان ، ويتصل بالعلماء والأمراء ، واشتغل في هذه الفترة بخدمة الأمراء ، وتقلد الوزارة في همذان مرتين ، واشترك في بعض الحركات السياسية ، واعتقل بضعة أشهر في قلعة فردجان [١] .

وكان لابن سينا تلاميذ كثيرون يلتفون حوله ويأخذون عنه . يروي أبو عبيد الجورجاني أحد تلاميذه أنه كان يجتمع كل ليلة بداره في همذان طلبة العلم يقرأون عليه كتبه كالشفاء والقانون . وكان يشتغل بالتدريس بالليل لاشتغاله بالنهار في خدمة الامير . ومن تلاميذه أبو عبيد الجوزجاني ، وأبو الحسن بهمينار ابن المرزبان الأذربيجاني ، وأبو منصور بن زيلا ، وسليمان الدمشقي ، وأبو عبد الله المعصومي ، وأبو القاسم عبد الرحمن النيسابوري ، والسيد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن شرف الدين الإيلاقي . وكانت وفاة ابن سينا في همذان عام ٤٢٨ هـ ودفن بهـا . وقيل أنه نُقل إلى أصفهان .

وقد كانت حياة ابن سينا مضطربة تخللتها أسفار كثيرة . وكان ينتهز الفرص لكتابة مؤلفاته العديدة . فكان يكتب احياناً أثناء السفر ، واحياناً أثناء الفراغ من خدمة الأمراء ، واحياناً أثناء الاختفاء منهم ، واحياناً أثناء الاعتقال . وتبلغ مؤلفات ابن سينا حوالي المائة كما يقول ابن خلكان. وقد اختص ابن سينا علم النفس

بعناية فائقة فأكثر من التأليف فيه . وما زال كثير من مؤلفات هذا الفيلسوف الإسلامي العظيم مخطوطات مبعثرة في مكتبات العالم لم يطبع منها إلا النزر اليسير[٢].

رعاية المولود في التراث الإسلامي

إن الجزء الخاص بعلل الأطفال ، الذي كتبه أحمد بن محمد الطبري في كتابه (المعالجات البقراطية) الذي لا يزال مخطوطاً ، وكتاب عريب ابن سعيد الكاتب القرطبي (خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين) كتباً في زمنٍ متقارب ، ولا نعلم بالتحديد أيهما الأسبق ، وهما في غاية الجودة ، ويمكن عدهما أقدم ما وصل إلينا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين في طب الأطفال باللغة العربية ، (على أساس عدم وجود الأصل العربي لرسالة الرازي المذكورة آنفاً) .

ثم كتب ابن الجزار القيرواني كتابه (سياسة الصبيان وتدبيرهم) ، الذي يبدو كأنه أكمل تأليفٍ في طب الأطفال حتى زمانه ، سلك فيه مسلكاً متخصصاً ، إلا أنه لم يُحط بالموضوع من كل جوانبه . وجاء بعده أحمد بن محمد البلدي فألف كتابه (تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم) ، الذي نعده القمة التي وصل إليها طب الأطفال عند العرب والمسلمين ، وذلك لكونه أشمل من كل ما كُتب قبله وبعده في هذا الموضوع ، فقد احتوى ، إضافة إلى مسألة العناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية ، أمراضاً لم يذكرها غيره من الأطباء . ونجد فصولاً عن كيفية العناية بالطفل وتربيته في بقية كتب الطب العربية مثل (كامل الصناعة الطبية) للمجوسي ، و (القانون) لابن سينا ، وغيرهم كثير لا يتسع الوقت لسردهم .

بعد هذا نقول إن هذه المؤلفات التي ذكرناها جاءت حاوية لكل ما له علاقة بالطفل منذ أن يكون جنيناً إلى أن يصبح يافعاً . نستعرض فيما يأتي خلاصة لمـــا جاء فيها حول موضوع العناية بالمولود حديث الولادة وتطور نموه .

أولاً : صفات الطفل الطبيعي والخديج والمريض :

ذكر الأطباء العرب صفات وعلامات يستدل منها على حال الطفل ، أن كان طبيعياً أو مريضاً أو ناقصاً (خديجاً) ، وهي في الحقيقة لا تختلف عما يؤكده أطباء الأطفال اليوم ، مما يجعلنا نقف بإجلال لتلك العقول النيرة ، وهذه الدلائل عنـدهـــم :

١ – حال المرأة في أثناء الحمل وهو مؤشر على صحة الطفل ، فأما استدلالنا على حال المولود أن كان صحيحاً أو سقيماً فإن ذلك يكون من تعرفنا حال المرأة في حال حملها ، وذلك أن صحة الأم وخفة الأعراض الرديئة العارضة فيها ، وقلتها أو ضعفها في وقت حملها ، يدل على صحة طفلها [٣] . ومدة زمان حملها علامة أخرى تشير إلى سلامة الطفل . والمولودون لسبعة أشهر يولدون قضافاً مهازيل ، والمولودون لتسعة أشهر يولدون خصبي الأبدان سماناً [٤] .

٢ – جودة حركات الطفل وحواسه ، وبكاؤه ساعة ولادته مؤشر آخر على صحة الطفل كمـا يدل على ذلك من صحة أعضائه وقواه وجودة حواسه وحركاته ، فهذه كلها تدل على صحة المولود وسلامته ، فأما استدلالك على سقمه ومرضه وضعفه فيكون بخلاف ذلك [٥] . وأضاف الرازي التبول والعطاس بوصفها علامتين من علامات الحياة في الطفل حديث الولادة [٦] .

٣ – عملية الرضاعة الانعكاسي :

وهو مؤشر آخر على صحة الطفل ففي حال وضعنا حلمة الثدي في فم المولود وجدناه يعصرها ويقبض عليها بشفتيه ، ثم يقنت لسانه فيندفع اللبن إلى حلقه ، كأنه قد تعلم ذلك وتفنن فيـه منذ دهرٍ طويـل . فإن صار اللبن إلى المرئ أوصلــه

إلى المعدة ، فإذا أخذت المعدة من ذلك اللبن حاجتها دفعت عنه ما يفضل منه إلى الأمعاء ، ولا تزال هذه الأمعاء من واحدٍ إلى واحد حتى يصير إلى الآخر ، كأنه قد عرف ذلك بالتعليم [٧] .

٤ – كثرة النوم :

وهو معلوم أن الأمر الطبيعي في الصبيان هو كثرة النوم . أما عن المولودين لسبعة أشهر وثمانية أشهر فنذكر إن عبد الملك بن مروان ولد لسبعة أشهر ، وأن الشعبي ولد لسبعة أشهر توأماً ، وجريراً الشاعر كذلك ولد لسبعة أشهر ، وهو مما لا يذكره أهل الطب وغيرهم ، بل يثبته جميعهم ويأتون بالبرهان عليه ، فيقولون إن كمال خلق الجنين في الرحم بقوته وحركته إنما يتم في نصف سنة شمسية ، وذلك مئة واثنان وثمانون يوماً وخمسة أثمان اليوم . وهذا يعني بتقويمنا الشمسي بالتقريب ستة أشهر وبضعة أيام . فمن ولد لسبعة أشهر حياً عاش في أكثر الأمر ، ويربى على ما تربى مَن ولد في تسعة أشهر ، غير أن المولودين لسبعة أشهر يولودون قضافاً مهازيل ، والمولودين لتسعة أشهر يولودون خصبي الأبدان سماناً . وللمولود في سبعة أشهر حد ومدة من الزمان متى ولد قبلها أو بعدها لم يعش وكان سقطاً (الإسقاط) . ومن ولد لثمانية أشهر لم يعش على ما اختبر في طول الدهر . ((فالجنين يموت حتماً إن ولد فيها لأنها تجتمع إليه آلام الولادة وتضغطه والمرض الذي فيه والأورام التي به فيهلك بذلك)) [٨] . لا شك أن العلم الحديث أثبت خطأ قول ما سلف في المولودين لثمانية أشهر ، وهو خطأ نقل من الأطباء العرب عن اليونانيين .

ثانياً : العناية بالمولود حديث الولادة

١ – شروط الغرفة التي يرقد فيها الطفل وهيئته في أثناء النوم : لقد تكلم الأطباء العرب والمسلمون في ذلك كلاماً علمياً صحيحاً ؛ فمثلاً يقول ابن سينا : ((ونومه في بيتٍ معتدل الهواء ، ليس ببارد ولا حارٍ ، ويجب أن يكون البيت إلى الظل والظلمة مائلاً ، لا يسطع فيه شعاعٌ غالب ، ويجب أن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسده ، ويحذر أن يلوي مرقده شيئاً من عنقه وأطرافه وصلبه)) . ويضيف البعض على ذلك : ان يتخذ للطفل عند ابتداء الأمر داية ، وتؤمر ألا تزجره ولا تغمه بشيء ، وتُعنى بمضجعه [٩] .

٢ – العناية بمداخل الطفل ومخارجه : ينظف وينقى منخراه وفوه وأذناه برفق ، ويفتح دبره بالخنصر ، فيخرج جميع ما فيه ، ويقطر في عينيه شيء من زيت .

ويؤكد ذلك بعض الباحثين بقوله : وأما المولود فإن مداخله مختلفة ، كالفم والمنخرين ومخارجه كثيرة كمخرج البول والبراز ... فيجب أن تكون هذه المداخل والمخارج سليمة متفتحة ، يعني بتنقيحها وتنظيفها لئلا يحتقن فيها فضل يسدها . ويسهل خروج ما يخرج منها ودخول ما يدخل فيها [١٠] ، وكذلك ضرورة مص أذنيــه [١١] . إن هذه الوصايا لا شك جاءت مطابقة لما نؤكده اليوم لدى استقبال الطفل ساعة ولادته .

٣ – العناية بسرته :

لقد أكد اغلب الباحثين في هذه الشأن وبقية الأطباء العرب تعليمات للعناية بسرة الطفل جاءت صحيحة في أغلبها ، وينبغي أن تبتدئ من تدبير الطفل عند خروجه ، فيقطع من سرته أربع أصابع ، وتربط سرته وتفتل فتلاً رقيقاً ، وتوضع عليها خرقة قد غمست في زيت . فإذا وقعت سرته بعد ثلاثة أيامٍ أو أربعة فينبغي أن تذر عليه رماد الودع المحرق ورماد عرقوب عجل محرق ، أو رصاص محرق قد سحق بالشراب ، ثم يُصلى على الموضع [١٢] .

٤ – العناية بجلده وكيفية استحمامه :

إن ما جاء في كتابات الأطباء العرب والمسلمين في هذا الباب مقبول أكثره اليوم ، نذكر ، على سبيل المثال ، قول ابن سينا في ذلك ويبادر إلى تمليح بدنه بماء الملح الرقيق : لتصلب بشرته وتقوي جلده ، وأصلح الأملاح ما خالطه شيء من شاذج وقسط وسماق وحلبة وزعتر ، ولا يملح أنفه ولا فمه .

والسبب في إيثارنا تصلب بدنه أنه في أول الأمر يتأذى من كل ملاق يستخشنه ويستبرده ، وذلك لرقة بشرته وحرارته ، فكلُ شيءٍ عنده بارد وصلب وخشن ، وإن احتجنا إلى أن نكرر تمليحه ، وذلك إذا كان كثير الوسخ والرطوبة فعلنا ، ثم نغسله بماءٍ فاتر [١٣] .

عن كيفية استحمام الطفل ومسكه :

تؤمر الحاضنة أن تحممه بالماء الحار العذب ؛ لأن عامة تدبيرهم إنما يكون بماءٍ يرطب أبدانهم ؛ لتبقى رطبة زماناً طويلاً ، ويكون الماء معتدلاً لا حار جداً . ويفعل هذا في بيتٍ معتدل الدفء مظلم قليلاً ، ويحمم أول الغداة ونصف النهار وعند العشاء ، وتبسط الحاضنة على ركبتيها وفخذيها خرقة كتان ناعمة ، ثم تضجع الطفل عليها ، وتحل عنه الخرق ، وتبدي أعضاءه وتلوي مفاصله .

وكل ذلك برفقٍ وإحكام ، ويجب أن يكون إمساكه للتحميم باليد اليسرى ، وتلزم الداية رأسه ورقبته ، فإن الصبي لا يستطيع أن يلزم نفسه ، وتصب عليه الماء باليد اليمنى ، فتطيله به أولاً دلكاً قليلاً ثم تصب قليلاً ، على ذلك المروخ ما كان رويـداً رويداً لئـلا يبرد ، وتغم على عانته برفقٍ ليبول ، ولا تزال تفعل ذلك به كذلك حتى يحمر بدنه كله .

فإذا أرادت أن يحول الصبي على بطنه فتجعل الحاضنة أبهامها تحت لحي الصبي ؛ لئلا يميل رأسه إلى داخل الماء ، وتميل الحاضنة كل عضوٍ من أعضائه إلى ما ينبغي ، مثل أن ترد الرجل إلى خلفها ، واليدين إلى قدامها ؛ لأنها إن فعلت ذلك صيرت المفاصل في مواضعها حسنة جيدة الحركة ، وأن تسوي رأسه ويديه ورجليه وغيرها من سائر أعضائه .

وترفع الصبي إذا فرغت من تحميمه ، وتجعله الحاضنة على فخذها بعد أن تبسط تحته خرقة ناعمة وتنشفه ، وتحممه أولاً ثم تضعه على بطنه ، ثم على ظهره ، وهـي في ذلك تدهنه بإحدى يديها من أسفل ، وبالأخرى من فوق ، وتمـد ركبتـه

وتمسح عينيه بإبهامها مسحاً رقيقاً ، وتعدله إلى كل ناحية ؛ لتعد عروقه واسعة ، وتعتاد مفاصله الالتواء ، ثم تشده بالخرق بعد أن تنشفه ، فهكذا ينبغي أن يحمم الصبيان والأطفال [١٤] .

ويؤكد أغلب الباحثين القواعد والشروط نفسها وطريقة استحمام الطفل التي ذكرناها ، والتي هي في جملتها تعد قمة المعرفة والدقة العلمية .

٥ – تغذية الوليد :

يرى ابن سينا أن يكتفي بإرضاعه في اليوم مرتين أو ثلاثاً ، ولا يبدأ في أول الأمر إرضاعه بإرضاع كثير على أنه يستحب أنه تكون من ترضعه في أول الأمر غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه ، والأجود أن يلعق عسلاً ثم يرضع [١٥] . وبعد أن يبتدأ في تدبير الطفل ... فيتغذى باللبن ، فإن غذاءه الذي أعد له اللبن . وقال بعض الأطباء ، لا ينبغي أن ترضع الطفل أمه حتى تأتي له ثلاثة أيام أو أربعة ، ويرضع في اليوم مرتين أو ثلاثة لا يزاد عليها إلى أن تستمرئه معدته ، ويقدر على الغذاء ، فإن كثرة الرضاع في هذا الوقت غير نافعة [١٦] . بالنسبة لإرضاع الطفل من أمه خلال ثلاثة الأيام الأولى هناك رأيان اليوم . رأي يؤكد ضرورة إرضاعه ؛ ليستفيد من إفرازات الثدي (اللباء) الحاوية على بعض عناصر المناعة ضد الأمراض ، وبعض المواد الغذائية التي لا تخلو من فائدة للطفل .

أما الرأي الآخر فينصح أصحابه وهم قلة ، بعدم إرضاعه ، وذلك لاحتواء اللباء على هرمونات أنثوية مكثفة ، التي قد تزيد في احتمال انحلال كريات الدم الحمراء ، وتؤدي إلى زيادة ترسب البيليروبين في الأنسجة ، ومن ثم تؤدي إلى زيادة اليرقان الفسلجي الذي يحدث لدى بعض الأطفال . إلا أننا على الرغم من ذلك نرجح الرأي القائل بضرورة إعطاء الطفل ثدي أمه منذ الأيام الأولى . ويرى البعض أن يغذى يومين بسكر مدقوق ناعماً مع دهن شيرج [١٧] .

ولا شك في أن غايتهم من إعطاء العسل او السكر تفريغ مادة الميكونيوم (العقي) من أمعاء الطفل أولاً ، وتغذيه حتى مجيء حليب الأم بصورة كاملة ، ونحن اليوم نصف الكلوكوز (سكر العنب) مع الماء للغرض نفسه .

٦ – بكاء الطفل والعناية به من الناحية السايكولوجية (النفسية) :

فسر ابن القيم الجوزية فائدة بكاء الطفل تفسيراً علمياً صحيحاً ودقيقاً فقــال : ((ولا ينبغي أن يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه ، ولا سيما لشربه اللبن إذا جاع فإنه يروض أعضاءه ... ويفسح صدره ويسخن دماغه [١٨] .

وعن أسباب البكاء الأخرى وكيفية العناية بالطفل في حال البكاء تكلم الأطباء العرب والمسلمون كلاماً رائعاً يعد حجر الأساس في تربية الطفل وسايكولوجيته ، فعلى سبيل المثال ، ولا يمكن البكاء الكثير فإنه إذا كثر بكاؤه فيجب أن يسكت كما ذكرنا . وبكل شيءٍ يعلم أنه يلهيه به ويحول بينه وبين البكاء ، مثل أن يحمل على الأيدي حملاً رقيقاً ليناً ، ويحرك كذلك ويرفع ويسمع أصوات لذيذة ، ويحرك بالغدوات بالحمل ويحسن له النغم بالتبيين .

وذلك أن الأصوات اللذيذة تلحق بالنفس والطبيعة والالتذاذ بها من غير تعب ، ومن أجل ذلك الأطفال إن نُغم لهم نغمة حسنة يستلذونها سكنت طبائعهم وهدأت وناموا من قريب ، ويقرب إلى الصبي ما قد اعتاده من الأشياء التي تطربه وتفرحه ، ويجمع بينه وبين من نشاء من الصبيان ، ويحذر سماع كل شيء له صوت ، وأن يتقى عليهم الجهم من الوجوه التي تفزع الصبيان سبه البراقه ، والأشياء البشعة ، فإن هذا وشبهه مما يدخل على الصبي النظرة الشديدة [١٩] .

ويؤكد ابن سينا هذه القاعدة المهمة بقولــه : (فأنه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه : أحدهما التحرك اللطيف ، والأخر الموسيقا والتلحين ، الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال ، وبمقدار قبوله لذلك يوقف على تهيئته للرياضة والموسيقا أحدهما ببدنه والأخر بنفسه) [٢٠] . أي أن الطفل يجب ان ينوم ويستعمل معه التحريك بلطفٍ ورفق ، ويلحن له لحون حسنة ؛ فإنه يستلذ النغم الحسن الذي يكون من إيقاع ، كمــا يستلذ المستكملون ؛ إذا كان الإنسان مجبولاً على حب الحركة وحب اللحون ؛ فإنه يسكن ما يجد من وجع ويجلب له النوم .

ثالثاً : حياة الطفل وتطوره الطبيعي :

من المميزات التي اتصف بها الأطباء العرب اهتمامهم بالناحية الأكاديمية في دراسة الطب ، هذه الناحية التي تسهل على طالب الطب والطبيب الإحاطة بدقائق هذا العلم الواسع ، لذلك نجدهم قد درسوا حياة الإنسان بصورةٍ عامة ، وحياة الطفل ونموه وتكامله بصورة دقيقة ، فقسموا حياته إلى أدوار ، وبينوا حدود كل دور ، وما يستجد من تطورٍ لدى الطفل فيه ، وهم في تقسيمهم أدوار حياة الإنسان وأدوار حياة الطفل ساروا على منهج (أبقراط) مـع إجراء التعديـلات والتغيـرات التـي اقتنعوا بوجوبها ، وبذلك جاء تقسيمهم قريباً من تقسيمنا اليوم ، نذكـر ، على سبيل المثال ، التقسيم الذي يرى ان الإنسان يتجزأ الى أربعة أجزاء في قول عامة الأطباء .

ولعدم الإطالة نلخص ما ذكر :

١ – سن الصبا : حتى ١٨ سنة من العمر .
٢ – سن الشباب : حتى ٣٥ سنة من العمر .
٣ – سن الكهولة : حتى ٦٠ سنة من العمر .
٤ – سن الشيخوخة : حتى يفنى العمر .

ويرى البعض أن الطفل : هو الذي لم تقوى أعضاءه ولم يستوفِ للحركات . والصبي : هو الذي لم يستوفِ سقوط الأسنان . والمترعرع : هو الذي قد استوفى سقوط الأسنان ولم يبلغ . والمراهق والغلام : هو

الذي قد راهق وبلغ الحلم . والى منتهى الوقوف وهو إلى خمسٍ وثلاثين سنة والى الأربعين يسمى (سن الشباب) . ومن الأربعين إلى ستين سنة يسمى (سن الكهولة) . وما بعد فهو سن (الشيخوخة) .

وفي تقسيم أدوار حياة الطفل وتطور نموه وحركاته بالنسبة لكل دور ، سنذكر أيضاً تقسيم آخر ، إلا أننا سوف نضيف إلى أقواله ما لم يذكره ، وذكره الآخرون مما له علاقة بالموضوع .

أما الأسنان فإن أبقراط فصلها على أربعة أجزاء :

الجزء الأول : وقت خروجهم من الأرحام ومباشرتهم الهواء إلى أربعين يوماً : فإنهم في هذا الفصل تتغير أحوالهم دفعةً واحدة في الهواء الذي يكتنفهم ويستنشقونه بأنفاسهم ، والغذاء الذي يتبدل عليهم ، والفضول التي تخرج من أبدانهم وتنقل جميع أحوالهم في مداخلهم ومخارجهم والأطفال في الأربعين يوماً الأوائل من أيام ولادتهم تلحقهم الآم كثيرة ويلقون أموراً صعبة [٢١] . ويقول ابن قيم الجوزية : ((فيضحك عند الأربعين وذلك أول ما يعقل نفسه)) [٢٢] .

الجزء الثاني : ((هو من بعد استكمالهم إلى وقت نبات أضراسهم ، ذلك يكون في الأسبوع الأول من الشهور على ما تقدم ذكره)) .

وفي هذا الجزء من السن يتحرك نمو الطفل وينهض في نشأته ، ويقوى على النظر إلى الأشياء وعلى سماع الأصوات ....)) [٢٣] .

تنبت الأضراس للأطفال على الأمر العام في الشهر السابع من ولادتهم ، وربما عجل نباتها لبعضهم في الشهر الخامس من ولادتهم ، وربما تأخرت إلى عدة أشهر . ويؤكد احد الباحثين تعويد الطفل على الجلوس في هذا الفصل فينبغي أن يجلس الصبي على الأرض ، إذا اشتد بدنه نعماً ، وصلبت أعضاؤه ، وقوي على حركة الجلوس . وفي إنبات الأسنان ، فتنبت في سبعة أشهر ، ومنهم لأكثر من ذلك ، ومنهم من يبدأ إنبات أسنانهم من أسفل ، فيكون ذلك إمارة لنباتها من فوق بلا وجع .

فأما الأضراس فقد تنبت العليا والسفلى وكذلك الأنياب .

الجزء الثالث : ((بعد إنبات أسنانهم إلى وقت اثغارهم ، فان حركاتهم في هذا الجزء ، تقوى وفهمهم يتزايد تزايداً ظاهراً ، وأذهانهم تميز الأشياء . وفي داخل هذا السن يكون الكلام والمشي والتنقل في الرضاع إلى غيره من الغذاء)) . وفي كلام الطفل فينبغي إذا قرب وقت كلام الطفل أن يتكلم بين يديه ويلقن لفظاً خفيفاً ويدرب عليه . فإذا كان وقت الفطام ابتدأ يتكلم وعلى الأمر الأكثر يكون بعد تمام سنتين [٢٤] . وفي مشيه إذا حان حبوهم بالاستقلال بالمشي أعين على ذلك وعملت له دراجة من خشب على قدر قامته تجري على ذلك [٢٥] . وكذلـك يكلف المشي مرة بعد مرة ، ويعلم أولاً بجنب حائط ويحمل أيضاً وقتاً بعد وقت ، لا يدام عليه بصنفٍ واحد من هذه الأشياء [٢٦] . وقال ابن سينا في ذلك : فان أخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن الحركات العنيفة ، ولا يجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه إليه بالطبع ، فيعيب ساقيه وصلبه آفة ، والواجب في أول ما يقعد ويزحف على الأرض أن يحمل مقعده على قطع أملس ؛ لئلا تخدشه خشونة الأرض وينحى عن وجهه الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع أو يحمى عن التزلق من مكان عالٍ [٢٧] . ولا ينبغي أن يحمل الصبيان على المشي قبل وقتهم ؛ لكيلا يعرض في أرجلهم الاعوجاج ، فقد يدلك طلب الصبيان للحركة في هذه السن مبلغ ملائمة طبائعهم الرياضية ، فانك لن تقدر على منع الصبي من أن يركض برجليه ويطفر بيديه ، فان الطبيعة [٢٨] قـد بلغت في القدرة على أن جعلت في جميع الحيوان الحركات الموافقة لهم في صحتهم وسلامتهم [٢٩] . وان هناك ارتباطاً وثيقاً بين قيام الطفل بحركات الحبو والقيام والمشي وبين نمو جهازه العصبي ، فعند تكامل الأخير يستطيع الطفل تقليد من حوله سريعاً ، إذا لم يكن مصاباً بمرضٍ يمنع ذلك كالكساح أو الشلل ، ولو لم يكن له أن حبا أو انتصب . وعند ذلك يمكن تناول هذه المهارات بالتمرين والتعليم ، وإلا فإنه لن يتاح لها أن تصل إلى نهاية نموها الطبيعي ، بل على العكس قد يصيب رجليه بعض الأذى إذا أُرغم على الوقوف والتحرك قبل أن يكون جسمه قد استعد إلى ذلك .

الجزء الرابع : هو من بعد اثغارهم إلى وقت نبات أشعارهم وقرب بلاغهم . أن حركاتهم في هذا الجزء أقوى بل أذهانهم فيه متزايدة ، ورغبتهم في الأمر وحفظهم للأشياء في غاية التمام .

وفي هذا الفصل يضمون إلى المؤدب ، ويحملون على تعلم شرائع الدين ، ويؤمرون بالصلاة ، ويوعدون من الخير ما يبقى راسخاً في القلوب ، وهذه السن

آخر أسنان الأطفال ، ثم تأخذهم بعد ذلك أحكام الرجال . أعدل الأسنان لتطهير الصبي ما بين الثمانية أعوام إلى العشرة [٣٠] . ولا نعلم لماذا ينصح بتأخير الاختتان علماً بأن تعاليم الرسول ρ تؤكد على عمل ذلك في الأيام الأولى من الولادة ، وذلك لأنه قد ثبت علمياً إن الاختتان مبكراً يقي من سرطان القضيب ، ويندر الإصابة به فيمن يختتن في الأيام الأولى .

بناء على ما سبق يمكن أن نلخص أسنان الطفل بهذه الكلمات : (إن الأطباء قد أبانوا في كثيرٍ من موضوعاتهم أن أسنان الصبيان تتجزأ إلى أربعة أجزاء ، منهـــا :

سن الولدان : عند خروجهم من الأرحام ، وهي الدرجة الأولى .

سن الصبيان : عند خروج أسنانهم من بعد سن الولدان ، وهي الدرجة الثانية .

سن ابن سبع سنين : وهي الدرجة الثالثة .

ثمَ سن المحتلمين ، وفي أربع عشرة سنة ، وهي الدرجة الرابعة [٣١] .

أما البعض فانه خرج عن تقسيم (أبقراط) وقسم حياة الطفل على شكل أسابيع ، فهي عنده ثلاثة أسابيع :

الأسبوع الأول : حتى سبع سنين .

الأسبوع الثاني : من بعد انقضاء سبع سنين إلى تمام أربع عشرة سنة .

الأسبوع الثالث : منذ انقضاء أربع عشرة سنة إلى تمام احدى وعشرون سنة .

العناية بالطفل عند ابن سينا

في تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض :

يشير ابن سينا انه حالما المولود يبادر إلى قطع سرته فوق أربع أصابع ، ثم تُربط بصوفٍ نقي . ثم ينصح ابن سينا بغسل جسم المولود بماء فاتر . يقول في ذلك ثم تغسله بماءٍ فاتر ، وتنقي منخريه دائماً بأصابع مقلمة الأظافر ، وتقطر في عينيه شيئاً من الزيت ، ويدغدغ دبره بالخنصر لينفتح ، ويتوقى أن يصيبه برد [٣٢] .

وفيمـا يتعلق بطريقة إلباس الطفل الوليد ، يشير ابن سينا إلى نقطة مهمة جداً في قضية التقميط التي تعد حالياً حجر الزاوية في مجال الوقاية من حدوث خلع الورك الولادي أو معالجته ، حيث يجب أن لا يقمط الطفل على نحوٍ مشدود وبخاصة بالنسبة للطرفين السفليين ؛ إذ يجب أن يتركا بوضعية الثني ، وعدم شدهما لأخذ وضعية الاستقامة ، التي بدورها تؤهب حدوث خلع الورك الولادي أو تفاقمه . يقول ابن سينا (وإذا أردنا أن نقمطه فيجب أن تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق ، فتعرض ما يستعرض ، وتدق ما يستدق ، وتشكل كل عضو على أحسن شكله ، كل ذلك بغمزٍ لطيف بأطراف الأصابع ، ويتوالى في ذلك معاودات متوالية ... ثم تفرش يديه ، وتلصق ذراعيه بركبتيه) [٣٣] .

وبعد ذلك يصف ابن سينا البيت الملائم للطفل الوليد ، فيشير إلى انه يجب أن يكون معتدل الهواء ، ليس ببارد ولا حار ، ويجب أن يكون البيت إلى الظل والظلمة ما هو لا يسطع فيه شعاعٌ غالب ، ويجب ان يكون رأس الطفل في مرقده أعلى من سائر جسده ، ويحذر أن يلوي مرقده شيئاً من عنقه وأطرافه وصلبه . كما يؤكد ابن سينا احمامه بالماء المعتدل صيفاً وبالمائل إلى الحرارة غير اللاذعة شتاءً ، كما أن أصلح وقتٍ يغسل ويستحم به بعد نومه الأطول ، وقد يجوز أن يغسل في اليوم مرتين أو ثلاثة ، وان ينقل بالتدريج إلى ما هو اقرب إلى الفتور أن كان الوقت صيفاً ، وأما في الشتاء ، فلا يفارقن به الماء المعتدل الحرارة ، وإنما يحمم مقدار ما يسخن بدنه ، ويجب أن ينشف بخرقة ناعمة ويمسح برفق ، ويضجع أولاً على بطنه ، ثم على ظهره [٣٤] .

في تدابير الإرضاع والنقل :

في مجال إرضاع الطفل الوليد يشير ابن سينا إلى ما يعد اليوم أساساً من أهم أساسيات إرضاع الطفل الوليد ؛ إذ يشير إلى انه يجب بذل كل المحاولات لان يرضع الوليد من لبن أمه ، حيث انه ، كما يعلل ابن سينا ، أشبه الاغذيه بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم . ويبين ابن سينا انه قد صح بالتجربة أن إلقام الطفل حلمة ثدي أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه ، كما انه يفضل ان يلعق الوليد عسلاً ثم يرضع . يقول ابن سينا من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه ، احدهما التحريك اللطيف والأخر الموسيقا والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال وبمقدار قبوله [٣٥] . في حالة وجود ما يمنع من تلقي الوليد حليب والدته يبين ابن سينا انه ينبغي ان يختار له مرضعة تنطبق عليها شروط معينة ، بعضها في السن وبعضها في السحنة ، وبعضها في الأخلاق ، وبعضها في هيئة ثديها ، وبعضها في كيفية لبنها ، وبعضها في مقدار مدة ما بينها وبين وضعها ، وبعضها من جنس مولودها .

أما فيما يتعلق بشرط سنها فيشير ابن سينا إلى أن أفضل سن ما بين خمس وعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة ، فهو سن الشباب وسن الصحة والكمال . وأما شروط سحنتها وتركيبها فيجب ان تكون حسنة اللون ، قوية العنق والصدر ، واسعته ، عضلانية صلبة اللحم ، متوسطة في السمن والهزال ، لحمانية لا شحمية . وأما في أخلاقها فان تكون حسنة الأخلاق محمودتها ، بطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك ؛ فان جميع ذلك يفسد المزاج . وأما في هيئة ثديها فان يكون ثديها مكتنزاً عظيماً ، ولي سمع عظمه بمسترخ ، ولا ينبغي أيضاً أن يكون فاحش العظم ، ويجب أن يكون معتدلاً في الصلابة واللين [٣٦] .

وأما في كيفية لبنها فان يكون قوامه معتدلاً ، ومقداره معتدلاً ، ولونه إلى البياض ، لا كمداً ولا اخضر ولا اصفر ولا احمر ، ورائحته طيبة وطعمه إلى الحلاوة لا مرارة فيه ولا ملوحة ولا حموضة ، ولا يكون رقيقاً ولا غليظاً جداً جبنياً ، ولا كثير الرغوة . وقـد يجرب قوامه بالتقطير على الظفر ، فان سال فهو رقيق ، وان وقف عن الإسالة من الظفر فهو ثخين .

بعد هذا يوضح ابن سينا حقيقة لا تزال لها أهميتها في مسألة إرضاع الوليد ؛ هي مسألة الفطام ، وهو ما تلح عليه كل المراجع الطبية الحديثة ، التي تؤكد انه لا شيء على الطفل اضر من الفطام المفاجئ ، وقد ذكر ابن سينا هذه الحقيقة عندما قال : انه يجب ان يكون الفطام تدريجياً لا دفعةً واحدة .

أما فيما يتعلق بنهوض الطفل وتحركه ، فقـد رأى : إذا اخذ الطفل ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن من الحركات العنيفة ، ولا يجوز أن يُحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه إليه بالطبع ، فيصيب ساقيه وصلبه آفة وينحى عن وجهه الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع [٣٧] .

في الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجاتها

في هذا الجانب يتعرض ابن سينا بالحديث عن بعض الأمراض التي يصاب بها الطفل الوليد مع ذكر علاجاتها . من ذلك تحدث ابن سينا مثلاً عن أورامٍ تعرض للرضع في اللثة عند نبات الأسنان ، وارورام تعرض لهم في ناحية اللحيين ، وهي في الحقيقة ما يعرف اليوم بالتهاب العقد اللمفاوية ، الذي يحدث في العقد اللمفاوية تحت الفكية . ثم يشير إلى علاج ذلك باستخدام بعض الدهون والعسل .

ثم يتعرض ابن سينا إلى الحديث عن إصابة الوليد بالإسهال ، فهو يبين انه قد يحدث ذلك عند بزوغ الأسنان ، وقد أوضح إن الإصابة الخفيفة لا تحتاج إلى علاجٍ مطلقاً ، أما في الحالات الشديدة فلا بد من علاجها ، وهذا الأمر قريب جداً لما يطبق اليوم [٣٨] .

وقد وصف لعلاج الإسهال أدوية عديدة ، أكثرها نباتية ، مثل بزر الكرفس والكمون واصل السوسن وغيرها من الأدوية النباتية ، التي كانت شائعة الاستعمال قبل عصر الصلدات .

ثم ذكر أيضاً حالات الإمساك التي قد يصاب بها الوليد ، وذكر له عدة علاجات . وفي حالة إصابة الوليد بالكزاز ينصح ابن سينا هنا باستخدام دهن البنفسج وحده أو مضروباً بشيءٍ من الشمع المصفى ، أما إذا

ترافق الكزاز بسعالٍ وزكام ، فيعالج بتلطيخ اللسان بالعسل ، ثم يغمر على أصل لسان الوليد ليتقيأ بلغماً كثيراً فيتعافى . ويشير ابن سينا إلى أن الطفل الوليد قد يصاب بسوء التنفس ، وهو ما يسمى اليوم بمرض الربو أو متلازمة الكرب النفسي . ويصف لذلك علاجات مختلفة ، كبزر الكتان والعسل . أما إذا أصيب بالقلاع فيعالج بالنفسج المسحوق وحده أو مخلوطاً بورد وقليل زعفران أو بالخرنوب وحده . أما الإصابة بسيلان الأذن فينصح باستخدام صوفة مغموسة بشراب العفص مع الزعفران [٣٩] . ويذكر ابن سينا أيضاً إن الأطفال قد يصابون في هذه السن بالماء في الرأس ، وهو ما يعرف حالياً باستسقاء الرأس وسلاق الأجفان والحميات ، ويذكر عدة علاجات لها . ثم يتعرض بالحديث لوصف حالة المغص ، التي تعد حالياً من أكثر الشكايات شيوعاً عند الأطفال الوليدين ، يقول في ذلك : ((وربما عرض لهم مغص فيلتوون ويبكون ، فيجب أن يكمد البطن بالماء الحلو والدهن الكثير الحار بالشمع اليسير)). بعد ذلك يتحدث ابن سينا عن إصابة الأطفال بمرض الجدري ، إلا انه لم يذكره بهذا الاسم ، بل وصفه بأنه مرض يتظاهر بشكل بثور سوداء ، تظهر في البدن ، وقال عنه انه مرض قتال .

وقد أشار أيضاً إلى إن كثرة البكاء عند الأطفال قد تسبب نتوء السرة أو الفتوق ، ونصح لعلاجها باستخدام المواد القابضة . أما الفواق فنصح باستخدام جوز الهند مع السكر ، والقيء المبرح باستخدام القرنفل [٤٠] .

يشير ابن سينا في النهاية إلى إمكان أن يتعرض الصبي لأحلام تفزعه من نومه ، ويعزوه لفساد الطعام في المعدة ، ويعالجه بإلعاقه العسل . أما خروج المقعدة أو ما يسمى حالياً بهبوط الشرج ، فينصح لعلاجه باستخدام مغاطس مكونة من قشور الرمان ، والآس الرطب ، وجفت البلوط ، والورد اليابس ، والشب اليماني ، والعفص [٤١] .

في تدبير الأطفال إذا انتقلوا إلى سن الصبا

وهذا يتعامل مع التكوين الخلقي والسلوكي للطفل ، وفيه يستعرض أيضاً فصولاً في التربية النفسية للأطفال على أحسن الطرق التربوية . فيؤكد ابن سينا في هذا الفصل على ضرورة مراعاة نفسية الطفل ، بحيث لا يصيبه غضبٌ شديد ، او خوفٌ شديد أ أو غم ، أو سهر ، ويبين أن في ذلك منفعتين ؛ أولاهما في نفسه ، بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ، ويصير ذلك له ملكة لازمة ، والثانية لبدنه ، فكما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج ، فكذلك إذا انحرفت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب لها ، ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً . ثم يحدد ابن سينا أوقات حمام الطفل ولعبه فيقول : ((وإذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم، ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ، ثم يطعم شيئاً يسيراً ، ثم يطلق له اللعب الأطول ، ثم يستحم ، ثم يغذى ، ويجتنبون ما أمكن شرب الماء على الطعام)) [٤٢] .

عندما يبلغ الطفل ست سنين يرى ابن سينا أن ذلك هو الوقت المناسب لتأديب الطفل وتعليمه ، ويرى أيضاً انه يجب أن يتدرج في ذلك ، ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرةً واحدة ، وفي هذا السن أيضاً ينقص من احمامهم ويزاد في تعبهم قبل الطعام . على الرغم من تخصيص ابن سينا هذه الفصول الأربعة للحديث عن تربية الأطفال وتدبيرهم ، إلا أننا كثيراً ما نلتمس في باقي أجزاء كتاب القانون بعض النصائح النفسية والإرشادات المهمة لعلاج بعض الحالات المستعصية كما هي الحال في حالة علاج التبول الليلي في الفراش ، حيث يركز فيه على ضرورة الأخذ بعين الاهتمام الحالة النفسية للطفل المصاب [٤٣] .

الأرجوزة في الطب

ينسب لابن سينا عدة أراجيز في الطب . أشهرها الألفية ، علماً إن عدد أبياتها يتراوح ما بين ١٣٢٦ و ١٣٣٤ . وتعد هذه الأرجوزة نظماً لكتاب (القانون في الطب) ، يسهل على طلاب الطب قراءتها وحفظها .

وقد وضعت عدة شروح على هذه الأرجوزة ، أشهرها الذي وضعه العالم الفيلسوف ابن رشد ، المتوفى سنة ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م . وترجمت هذه الأرجوزة إلى اللغتين اللاتينية والعبرية[٤٤] .

آراء ابن سينا في التربية

لقد أسهم ابن سينا من خلال كتابه (السياسة) في وضع قواعد التربية الإسلامية ، وله في ذلك آراء فلسفية وتربوية مهمة يجب عدم إغفالها ، يقول في ذلك : ((ينبغي البدء بتعلم القرآن فورَ تَهيُئ الطفل للتلقين جسمياً وعقلياً ، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقن معالم الدين ، ثم يروي الصبي الشعر مبتدأ بالرجز ثم القصيدة ؛ لان رواية الرجز وحفظه أيسر ؛ إذ إن بيوته اصغر ووزنه اخف ، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب ، ومدح العلم ، وذم الجهل ، وما حث على بر الوالدين ، واصطناع المعروف [٤٥] .

فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن ، وألم بأصول اللغة ، ينظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده ؛ أي انه بعد أن يفرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة ينظر بعد ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته ، ويوجه إليها ، على أن يعلم مربي الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، بل ينظر إلى ما يشاكل طبعه وما يناسبه ، فإذا أراد الكتابة مثلاً أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وما شابهها . إن هذا المبدأ التخصصي ، الذي نصح به ابن سينا بعد الثقافة الخلقية والدينية ، هو ما ينادى به اليوم في التربية الحديثة ، حيث يجب الأخذ بعين الاهتمام ميول الطفل وتوجهاته ؛ لكي يكون مبدعاً في دراسته ومتفوقاً في مهنته المستقبلية [٤٦] . ومن جهة أخرى فقد وجه ابن سينا الأنظار إلى الصفات السلوكية والخلقية التي على المدرس أن يتمتع بها ؛ إذ انه يجب أن يكون قدوة حسنة لمن يعلمهم . يقول ابن سينا : ((ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين ، بصيراً برياضة الأخلاق ، حاذقاً بتخريج الصبيان ، وقوراً رزيناً ، غير كز ، ولا جامد ، حلواً لبيباً ، ذا مروءة ونظافة ونزاهة)) [٤٧] . ولم ينسَ ابن سينا التنبيه إلى ضرورة النظر إلى أقران الصبي ؛ إذ انه كثيراً ما يتعلم منهم ، لذلك فهو يرى أن يُحاط الصبي مع من هم حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم ، كما قال ؛ لان الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ وبه آنس ، ثم يقول : ((والمحادثة تفيد انشراح العقل ، وتحل منعقد الفهم ، لان كل واحد من أولئك إنما يتحدث باعذب ما رأي واغرب ما سمع ، فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه ، وسبباً لحفظه ، وداعياً إلى التحدث ، ثم إنهم يتوافقون ، ويتعارضون ، ويتقارضون الحقوق ، كل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة ، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم)) [٤٨] .
أما فيما يتعلق بعقاب الطفل ، إذا ارتكب خطأ ما ، فقد عدَ ابن سينا العقاب ضرورة تربوية ، يُلجأ إليها في بعض الحالات ، وبهذا يكون ابن سينا قد سبق احدث الآراء التربوية الحديثة ، التي تقر مبدأ العقاب في بعض الحالات الملحة . يقول ابن سينا : ((انه من الضروري البدء بتهذيب الطفل وتعويده الخصال من النظام قبل أن ترسخ فيه العادات المذمومة التي يصعب إزالتها ، إذا ما تمكنت في نفس الطفل . أما إذا اقتضت الضرورة الالتجاء إلى العقاب ، فأنه ينبغي مراعاة منتهى الحيطة والحذر ، فلا يؤخذ الوليد أولاً بالعنف ، وإنما بالتلطف ، ثم تمزج الرغبة بالرهبة ، وتارةً يستخدم العبوس ، أو ما يستدعيه التأنيب ، وتارةً يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيب ، وذلك وفق كل حالة . ولكن إذا أصبح من الضروري الالتجاء إلى الضرب ، ينبغي أن لا يتردد المربي على أن تكون الضربات الأولى موجعة ، فان الصبي يعد الضربات كلها هينة ، وينظر إلى العقاب نظرة استخفاف ، ولكن الالتجاء إلى الضرب لا يكون إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء لإحداث الأثر المطلوب)) [٤٩] .

الخاتمة

لا شك في أن تربية الطفل والعناية به صحياً ونفسياً كانت من الموضوعات التي اهتم بها العلماء والمربون العرب والمسلمون الأوائل ، ولعل ابن سينا واحد من أولئك الذين أفاضوا في الحديث عن العناية بالطفل في مراحل نموه المختلفة ، بدءاً بالحياة الجنينية وانتهاءاً ببلوغه سن الرشد ، وهذا ما بدا واضحاً وجلياً ولا سيما في كتابه القانون في الطب .

ولقد حظيت آراؤه في هذا المجال عناية خاصة لدى الكثيرين من علماء الشرق والغرب لقرون عديدة . فحريٌ بنـــا ، ونحن نحتفل بدخول القرن الحادي والعشرين أن نقف على أهم إنجازات العلماء العرب المسلمين ومساهماتهم ، أن نعيد دراسة ما كتبوه في هذا المجال وتحقيقه من اجل تقييمه وتحليله وفق المعطيات العلمية العصرية الحديثة .

المصادر

١) نجاتي ، د . محمد عثمان ، الادراك الحسي عند ابن سينا ، دار الشروق ، طـ ٣ ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٣١ .
٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ .
٣) البلدي ، احمد بن محمد ، تدبير الحبالى والأطفال والصبيان ، تحقيق محمود الحاج قاسم ، طـ ١ ، وزارة الثقافة ، بغداد – ١٩٨٠ ، ص ١٢٦ .
٤) البلدي ، تدبير الحبالى والأطفال ، ص ٥ . وكذلك ينظر ، محمد ، د . محمود الحاج قاسم ، رعاية المولود حديثي الولادة في التراث الاسلامي ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، عدد ٣١ ، دائرة البحث العلمي ، دبي ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٤١ .
٥) الرازي ، الحاوي في الطب ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، طـ ١ ، حيدر أباد الدكن ، ١٩٤٦ ، ج ٩ / ص ١٢٠ .
٦) ابن الجزار ، سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق محمد حبيب الهبلة ، مطبعة المنار ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص ٦٢ .
٧) القرطبي ، عريب بن سعد ، خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ، مكتبة فراريس ، الجزائر ، ١٩٦٥ ، ص ٣٦ – ٣٧ .
٨) ابن سينا ، القانون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د . ت ، ج ١ / ص ١٥١ .
٩) ابن الجزار ، سياسة الصبيان ، ص ٥٠ ، ص ٦٠ . وكذلك ينظر ، كعدان ، د . عبد الناصر ، العناية بالطفل عند ابن سينا ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، عدد ٣٤ ، دائرة البحث العلمي ، دبي ٢٠٠١ م ، ص ١٢٥.
١٠) البلدي ، تدبير الحبالى ، ص ١٨٥ .
١١) ابن الجزار ، سياسة الصبيان ، ص ٥٣ ، ص ٦٠ – ٦١ .
١٢) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ١٥٠ .
١٣) ابن الجزار ، سياسة الصبيان ، ص ٦٣ .
١٤) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ١٥١ .
١٥) ابن الجزار ، سياسة الصبيان ، ص ٧٢ .
١٦) المجوسي ، علي بن العباس ، كامل الصناعة الطبية ، د . م ، د . ت ، ج ٢ / ص ٥٢ .
١٧) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص ١٨٢ .
١٨) ابن الجزار ، سياسة الصبيان ، ص ٦٨ – ٦٩ .
١٩) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ١٥١ .
٢٠) المجوسي ، كامل الصناعة الطبية ، ج ١ / ص ٥٣ .

٢١) القرطبي ، خلق الجنين ، ص ٨٥ ، ص ٥٧ – ٥٨ .
٢٢) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، ص ٢٢٨ .
٢٣) القرطبي ، خلق الجنين ، ص ٥٨ – ٧٤ .
٢٤) المجوسي ، كامل الصناعة الطبية ، ج ٢ / ص ٥٢ .
٢٥) القرطبي ، خلق الجنين ، ص ٧٤ .
٢٦) المصدر السابق ، ص ٦٨ .
٢٧) ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ١ / ص ١٥٣ – ١٥٤ .
٢٨) يتردد كلمة الطبيعة لدى البلدي وغيره من الأطباء العرب في عدة أماكن ، وهو خطأ متوارث من الأطباء اليونانيين ، والأصح أن يقال بدلها إرادة الله .
٢٩) البلدي ، تدبير الحبالى ، ص ٢٠٠ .
٣٠) القرطبي ، خلق الجنين ، ص ٥٩ ، ص ٨١ .
٣١) ابن الجزار ، سياسة الصبيان ، ص ٨٦ – ٨٨ .
٣٢) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ١٦٠ .
٣٣) محمد ، محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٣٢.
٣٤) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ١٦٢ .
٣٥) الشطي ، احمد شوكت ، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، مديرية الكتب والمطبوعات ، جامعة حلب ، د. ت ، ص ٥٤ .
٣٦) المصدر السابق ، ص ٥٥ .
٣٧) حسين ، محمد كامل ، الطب عند العرب والمسلمين ، تاريخ ومساهمات ، طـ ١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص ٢٢ .
٣٨) المصدر السابق ، ص ٢٤ .
٣٩) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ١٦٣ .
٤٠) خير الله ، أمين اسعد ، الطب العربي ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٤٦ ، ص ٣.
٤١) المصدر السابق ، ص ٣٦ .
٤٢) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ٢٥٠ .
٤٣) الشطي ، تاريخ الطب وآدابه ، ص ٦٠ .
٤٤) البابا ، محمد زهير ، من مؤلفات ابن سينا الطبية ، منشورات جامعة حلب ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥ .
٤٥) الإنطاكي ، دار بن عمر ، مذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٢ ، ص ٤٦ .
٤٦) محمد ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، ص ٨٢ .
٤٧) ابن سينا ، القانون ، ج ١ / ص ١٨٦ .
٤٨) عيسى ، احمد ، معجم الأطباء ، طـ ٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٤٤.
٤٩) الشطي ، تاريخ الطب وآدابه ، ص ٦٤ .